الصورة وآليات تمثيل المرأة في الرواية الجزائرية الحديثة

The image and mechanisms of women's representation in the modern Algerian novel

الدكتورة: فطيمة زودة

قسم اللّغة والأدب العربيّ-جامعة باتنة 1 (الجزائر)
fatima.zouda@univ-batna.dz

تاريخ الإيداع: 2025/04/10 تاريخ القبول: 2025/06/15 تاريخ النشر: 2025/09/15

ملخص:

يتناول المقال تجليات صورة المرأة في الرواية الجزائرية الحديثة، موضحًا مختلف التحولات التي طرأت عليها، إذ انتقلت من كونها شخصية نمطية هامشية إلى شخصية رئيسة فاعلة، حيث جسّدت المرأة في بعض الروايات رمزًا للمقاومة والصمود إبان الثورة التحريرية، كما صُوّرت في روايات أخرى كضحية للقيود الاجتماعية والتقاليد بعد الاستقلال، وقد بدأت تظهر نماذج نسائية متمردة على الوضع القائم، تطالب بالتحرر والمساواة، مما يعكس وعيًا متزايدًا بدورها في المجتمع. كما ركزت الروايات على الصراع الذي تعيشه المرأة بين التقليد والتحديث، ومن هنا تتجلى أهمية الموضوع، وعليه نتساءل كيف نمذجت الكتابات الروائية صور المرأة؟ وما هي أهم القضية النسوية المثارة في متونها؟

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية الحديثة، صورة المرأة، الصراع، التقاليد، الحداثة.

Abstract:

The article examines the manifestations of the image of women in the modern Algerian novel, explaining the various transformations that have occurred, as they have transitioned from being a marginal, stereotypical character to an active, central figure. In some novels, women embodied a symbol of resistance and steadfastness during the liberation revolution, while in other novels, they were portrayed as victims of social restrictions and traditions after independence. Female models began to emerge who rebelled against the status quo, demanding liberation and equality, reflecting a growing awareness of their role in society. The novels also focused on the conflict women experience between tradition and modernization, which highlights the importance of the topic. Therefore, we ask: How have novels

framed the images of women? What are the most important feminist issues raised in these texts?

***key words**:* The modern Algerian novel, the image of women, conflict, traditions, modernity.

مقدمة

عرفت الرواية الجزائرية الحديثة تحولات جوهرية في آليات مظهرة صور المرأة، إذ انتقلت من التجسيد النمطي الذي يعكس الدور الوظيفي التقليدي للمرأة إلى أنماط أكثر تعقيدًا تروي واقعها الحياتي في مختلف تجلياته. حيث يتشكل هذا التحول عبر سياقات متعددة، أبرزها: النضال الوطني، والمتغيرات الواقعية، والصراع بين قطبي التقاليد والحداثة، إذ تعد الرواية الجزائرية الحديثة وسيطًا أدبيًا هامًا لرصد هذه جل التحولات، إذ أسهمت في إعادة تشكيل الوعي الاجتماعي حول قضايا الأنثى وحقوقها.

يسعى هذا المقال إلى تحليل تمثلات المرأة في الرواية الجزائرية من زاوية نقدية، متتبعًا أبرز أنماطها، مثل: المرأة كرمز للمقاومة، وكضحية للسلطة الاجتماعية والسياسية، وكمؤثر في عمليات التغيير، وعليه نتساءل كيف أسهمت هذه التشكيلات صورية في مساءلة الأدوار الاجتماعية التقليدية؟ وكيف تجلى ذلك عبر صياغة صورة المرأة في المخيال الروائي الجزائري؟ وهذا ما سنعمل عليه عبر تحليل نماذج سردية تعكس ذلك.

1. صورة المرأة كرمز للمقاومة والصمود:

لعبت المرأة دورًا مركزيا في مقاومة ضد الاحتلال الفرنسي خلال الثورة التحريرية، وانعكس ذلك في الأعمال الأدبية خاصة منها السردية، يشير (روجر آلان Alain Roger) إلى ذلك في قوله:" إننا نتوقع من الرواية أن تلبي الدور الذي يمكنها تلبيته أكثر من أي نمط آخر ألا وهو أن تكون مرآة للمجتمع الذي تولد فيه"[1]، وهو ما يبدو بوضوح في الخطابات الروائية التي تتناول دورها في النضال، حيث إنها لم تكن مجرد عنصر ثانوي مهمش، بل أظهرت مشاركة فعّالة في الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي، بالتموين، إيصال المعلومة والاستخبارات، وحمل السلاح، وهذا الدور البطولي انعكس في الأدب الجزائري، حيث أصبحت رمزًا للنضال والمثابرة، وفي هذا السياق نذكر أمثلة متعددة تبرز دورها كرمز للكفاح والصبر منها:

-رواية **"اللاز "**للطاهر وطار: تقدم الرواية من خلال تحليلها لشخصية البطل "اللاز"، تصويرا ووصفا لشخصيات نسائية أسهمن في أحداث الرواية، ونجحن في رسم صورة ترمز إلى المرأة الجزائرية التي ضحت بكل شيء في سبيل تحرير بلادها، إذ هي انعكاس واضح لآلاف النساء اللائي خضن الثورة وفي النص الروائي، نلاحظ أن المرأة تحيا في مجتمع تحكمه التقاليد، تعاني فيه من الظلم المزدوج؛ الأول من الاحتلال الفرنسي الذي ينكل بها وما له علاقة بها، والثاني من التكوين

المجتمعي الذكوري الذي فرض عليها حدودًا قاسية، ورغم كل ذلك، أثبتت قدرتها على المساندة والتضحية، غير راضخة للخوف أو التهديد، ففي "اللاز" تقوم بعدة أدوار تعكس واقعها الحقيقي أثناء الثورة، إذ هي الأم التي ترسل أبناءها إلى أرض المعركة ليقاتلوا المحتل، والزوجة التي تتحمل آلام الفراق والحزن، والأخت التي تتستر على أخيها المجاهد، وتعرض نفسها للمهالك خدمة للثورة؛ إنها القوة الصامتة التي تساند الثوار من الخلف وتصنع الطعام، وتخفيهم عن أعين المستدمر، وتداوي الجرحى، مما جعلها جزءًا لا يتجزأ من منظومة المقاومة. و"الطاهر وطار" يرمز للمرأة في روايته بلتضحية المطلقة، حيث يجعل منها تجسيدًا للثورة نفسها، وعليه فهي تعيش الألم ألوانا ورغم ذلك لم تستسلم، والمرأة الجزائرية في "اللاز" تشبه الأرض التي تنزف لكنها لا تموت، بل تستمر في إحياء المقاومة، ولم تقتصر الرواية على تصوير صورة مثالية للمرأة، بل قدمت أيضًا شخصيات نسائية أخرى من قبيل: المترددة أو الخائنة، تعكس الصراعات الداخلية التي عاشها المجتمع الجزائري أثناء الثورة. وهذا يضيف بعدًا واقعيا للنص، حيث لا يصور الجميع كأبطال بلا أخطاء، بل يبرز الجانب الإنساني بكل تعقيدات،[2] فالنص بمثابة آلية لعكس فسيفساء الذات النسوية في مختلف الظروف التي مرت بها التورة التحريرية.

-**وفي السياق نفسه تقدم رواية (نساء الجزائر)** لآسيا جبار: "صورا حية تعكس مساهمة المرأة في الكفاح التحرري، حيث تصور الكاتبة النساء كمشاركات في الثورة، وليس مجرد ضحايا لها إذ، "جبار" سلطت الضوء على تحدي المرأة للأعراف الاجتماعية من أجل الإسهام في التحرر، مقدمة لنا صورة حية لاندماج المرأة في الكفاح التحرري، إذ لم تقتصر على عرض النساء كضحايا للظلم أو الحرب، بل تناولت مدى قوتهن وشجاعتهن وقدرتهن على كسر القيود والتقاليد الذكورية لأجل الانخراط في الثورة الجزائرية، ولا تكون المرأة مجرد تابع للرجل، بل شخصية محورية تعيش، تقاتل، وتعاني من أجل حرية وطنها. وتصور "آسيا جبار" المرأة الجزائرية كشخصية ديناميكية حيوية تملك قدرة على اتخاذ قرارات مصيرية، وليس مجرد ضحية للاستعمار أو المجتمع، حيث تبرز النساء وهن يعشن في قلب المعركة، يهربن من سجون القهر الاجتماعي، ويشاركن في الثورة المسلحة أو في المقاومة المدنية من خلال تمرير الرسائل، وتقديم الدعم اللوجستي للمجاهدين، وغيره من الوظائف، ولعل أحد القضايا المحورية التي تتناولها "آسيا جبار" هي كيف تمكنت النساء من كسر القيود التقليدية للمساهمة في الكفاح؟ فالمرأة التي كانت محصورة بين جدران المنزل، أصبحت عنصرًا فاعلا في حركة المقاومة، هذا وركزت "آسيا جبار" أيضًا على أن المرأة الجزائرية لم تكن فقط تقاوم الاستعمار الفرنسي، بل كانت تخوض معركة أخرى ضد الهيمنة الذكورية التي تحاول قمع صوتها وحصر دورها في حدود ضيقة، إذ الكفاح لم يكن فقط من أجل تحرير البلاد، بل أيضًا من أجل تحريرها من النظرة الدونية التي تحاول تهميشها حتى داخل صفوف الثورة نفسها

في بعض نصوصها، كما نجد تصويرًا للنساء وهن يعانين من قمع مزدوج، حيث يواجهن العدو المحتل، لكنهن في الوقت ذاته يتعرضن للتمييز أو الإقصاء داخل مجتمعهن.

2. صورة المرأة كضحية للتقاليد والقمع:

واجهت المرأة بعد التحرر من المستعمر عوائق وتحديات جديدة مرتبطة بالمجتمع التقليدي الذي حاول فرض قيود اجتماعية ودينية عليها، لتعود إلى لعب إلى تصنيفها كالضحية في قضايا عدة مثل: الزواج القسري، والعنف، والحرمان من الحقوق كالتعليم، والعمل والاختيار.... وقد أسهمت المرأة الجزائرية، سواء ككاتبة أو كشخصية داخل النصوص الإبداعية، في تعزيز الهوية الوطنية بعد الاستقلال. ولم يقتصر دورها على كونها ملهمة للأدب، أو منتجة له عاكسة من خلاله عن رؤاها وتجاربها ومطالبها. وقد ساعدت هذه الإسهامات في بلورة صورة أكثر واقعية وحقيقية عنها، بعيدًا عن الصور النمطية التي كانت سائدة في الأدب ما قبل الاستقلال، ونذكر من ذلك أمثلة أدبية عديدة من الواقع المعاش في هذ السياق الذي يبرز معاناتها:

-رواية **"ذاكرة الجسد "** لأحلام مستغانمي: تناولت معاناة المرأة في مجتمع ذكوري بحت، إذ البطلة "حياة "تعاني من تضييق قيود المجتمع التي تحرمها من حقها في الحب والحرية والعمل، كما عكست الصراع الداخلي للمرأة بين رغبتها في التحرر من قيود المجتمع القسرية التي قيدتها لمجرد كونها أنثى، والنص الروائي ليس مجرد قصة حب عادية، بل هي مرآة تعكس التحديات التي تواجهها المرأة في مجتمع ذكوري يفرض عليها قيودًا تعسفية تحدّ من حريتها واستقلاليتها، وتتمحور حول ذات البطلة التي تجد نفسها ممزقة بين رغبتها العميقة في التحرر والانطلاق، وبين التقاليد والأعراف الاجتماعية التي تفرض عليها نمط حياة معين، يتعارض مع طموحاتها وأحلامها، كما عرضت أحداث الصراع الداخلي الذي تعيشه البطلة، وعليه فالمرأة المثقفة والواعية تدرك حقها في الحب واختيار مصيرها لكنها في الوقت نفسه تجد نفسها مكبّلة بقواعد مجتمعية تحط من قيمة المرأة والنظر إليها بدونية.

-من خلال شخصيات الرواية وأحداثها، تسلط مستغانمي الضوء على واقع المرأة في المجتمعات العربية التي ما زالت ترسم حدودًا تعسفية على حرية النساء، حتى في الأمور الشخصية مثل الحب والزواج. فالرواية لا تتناول فقط الحب بوصفه تجربة عاطفية، بل كقضية اجتماعية وسياسية تعكس الصراع بين الفرد والمجتمع، بين الحلم والواقع، بين الذات والآخر. ويمكن اعتبار ذاكرة الجسد صرخة أدبية تعبر عن معاناة المرأة وتوقها إلى التحرر، لكنها في الوقت نفسه تصور كيف أن هذه القيود ليست مجرد قوانين مكتوبة، بل هي جزء من الموروث الثقافي والاجتماعي الذي يعيد إنتاج نفسه عبر الأجيال، مما يجعل من الصعب تجاوزه بسهولة. ومع ذلك، تظل الرواية دعوة

ضمنية للتمرد والمقاومة، لإعادة تعريف أدوار المرأة في المجتمع، والسعي إلى تحقيق الحرية الفردية بعيدًا عن القيود المفروضة بلا مبرر.[3]

-أما في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" للطاهر وطار، فتظهر صورة المرأة كضحية للعنف والاضطهاد والتعسف في سياق مجتمع ما بعد الاستقلال الذي لا يزال يخضع للقيود الاجتماعية بل وفي شتى المجالات، تعاني الشخصيات النسائية فيها من الظلم والمنع على اختلاف أشكاله، حيث يُفرض عليهن أدوارا اجتماعية محددة تحد من حريتهن وآمالهن الفردية، كما تتناول قضايا (الحب والانتماء والصراع الاجتماعي)، أين تعيش الشخصيات النسائية تفككا وصراعا بين رغباتهن الشخصية والتقاليد المفروضة قسرا، والمرأة في هذا العمل الروائي ليست فقط شخصية تحب وتعشق، بل هي كيان يعاني من التناقضات التي يفرضها المجتمع الأبوي. حيث تم تصوير علاقات الحب كمجال آخر للصراع، إذ تتحول المرأة أداة لإثبات السلطة الذكورية أو ضحية لتقاليد ترفض استقلالها، ويرصد لنا الخطاب كيف يتحول القمع السياسي إلى قمع اجتماعي ينعكس على المرأة بشكل خاص، في مرحلة ما بعد الاستقلال، إذ يُفترض أن يتحرر المجتمع من القيود الاستعمارية والاجتماعية، إلا أن المرأة بقيت مقيدة تحت ذريعة التقاليد والدين. ويظهر كيف أن السلطة الذكورية تستخدم الأيديولوجيا كأداة لإخضاع المرأة وإبقائها ضمن دائرة الطاعة، ففي "العشق والموت في الزمن الحراشي"، تصبح المرأة ضحية مزدوجة؛ فهي تعاني من قمع اجتماعي قائم على التقاليد، وقمع سياسي يعيد إنتاج نفس المنظومة الأبوية التي كانت قائمة خلال الاستعمار، والرواية لا تكتفي برصد هذه المعاناة، بل تطرح أسئلة جوهرية حول مستقبل المرأة في مجتمع يسعى إلى التحرر لكنه لا يزال مقيدًا بإرث ثقافي يعيد إنتاج التهميش والتمييز[4] الذي تتولد عنه رغبة الذات الأنثوية في المقاومة والتجديد.

3. صورة المرأة كعنصر فاعل في التغيير:

بدأت تظهر مع تطور المجتمع الجزائري شخصيات نسائية في الأدب تتجاوز التنميط الكلاسيكي للمرأة الذليلة والمهمشة، لتتحول إلى شخصيات تتحدى الأعراف الاجتماعية للمطالبة بحقوقها، هذه الشخصيات لم تعد مجرد ضحايا للقمع الاجتماعي، بل أصبحت رمزًا للمقاومة والتغيير، مما يعكس التحولات العميقة التي شهدها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال ذلك أن الرواية "تتناول موضوعات تستوحي واقع المجتمع وأسئلته، فإن الروائي الجديد يعمد إلى تذويت السرد بتعدد الأصوات و اللغات، ما يجعل الكتابة ملتصقة بذوات الشخوص والمتكلمين داخل الرواية"[5]، وفي هذا السياق تأتي رواية **"باب الساحة"** لرشيد بوجدرة لتقدم شخصية نسائية تسعى للتحرر من القيود الاجتماعية، حيث تعبر عن رغبتها في العيش بحرية واختيار مصيرها، عاكسة تطلعات المرأة الجزائرية نحو التحرر؛ فالنص واحد من الأعمال الأدبية التي سلطت

الضوء على معاناة المرأة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، عارضا الصراعات الداخلية والخارجية الذي تعيشها البطلة في سعيها لتحقيق هدفها والتحرر من القيود الاجتماعية عليها، وفي هذه الرواية لا تكتفي الشخصية بتمثيل المرأة الكلاسيكية التي تذعن للأعراف، بل تتحول إلى رمز للكفاح وتحدي منظومة اجتماعية منغلقة ومحافظة في "باب الساحة"، نجد شخصية نسائية تتمرد على الواقع المفروض عليها، وتبحث عن ذاتها بعيدًا عن القوالب الجاهزة التي يرسمها المجتمع للمرأة على عكس العديد من الأعمال التي تضع المرأة في دور الضحية فقط، يخلق السارد شخصية قوية تتحدى القيم التقليدية، وتسعى لصنع مصيرها بنفسها، مما يجعلها نموذجًا للمرأة الجزائرية الجديدة التي تحاول إعادة تعريف مكانتها في المجتمع. والرواية تصور التناقضات التي تعيشها المرأة الجزائرية بين التقاليد الموروثة التي تفرض عليها أدوارًا محددة، وبين تطلعاتها نحو التحرر والعدل والمساواة، يظهر هذا الصراع في القرارات التي تحاول الشخصية الرئيسة اتخاذها، والتي تواجه بسببها رفضا شرسا من الأسرة والمجتمع. هذه الإشكالية تجعل الرواية كتابة أدبية ترسم التحولات الاجتماعية في الجزائر، حيث لا تزال المرأة تخوض نقاشات لإثبات ذاتها في مجتمع يتأرجح بين القيم التقليدية والتحديث. وأحد الجوانب المهمة في الرواية هو كيفية تعامل البطلة مع الحب والعلاقات العاطفية. فبدلًا من أن تكون المرأة مجرد تابع للرجل، نجدها تبحث عن الحب الذي لا يلغي استقلالها. والخطاب يقدم شخصية نسائية تدرك أن الحب يجب أن يكون مبنيًا على التفاهم والمساواة، وليس على الهيمنة الذكورية. هذه الفكرة تشكل ثورة فكرية داخل النص، حيث تتحدى البطلة الصورة التقليدية للعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع الجزائري، وفي "باب الساحة" لا يقتصر التحدي الذي تخوضه البطلة على رفض العادات الاجتماعية فحسب بل يمتد ليشمل تحدي السلطة الذكورية التي تمارس قمعًا مزدوجًا على المرأة، إذ ليست فقط مضغوطة من قبل الأسرة والمجتمع، بل امن الأنظمة السلطوية التي لم تمنحها حقوقها الكاملة بعد الاستقلال، يظهر هذا الاتجاه في الرواية من خلال تصوير كيف يتم إجبار النساء على الرضوخ للقواعد والضوابط.

- يقدم "رشيد بوجدرة" شخصية نسائية قوية تسعى للتحرر من القيود الاجتماعية والتقليدية، مما يجعلها رمزًا لنضال المرأة الجزائرية في سبيل تحقيق الحرية والمساواة. الرواية تعكس تحولات المجتمع الجزائري وتبرز التحديات التي تواجهها المرأة في مجتمع يتأرجح بين التقليد والحداثة. بهذا الشكل، تصبح باب الساحة شهادة أدبية مهمة على تطور الوعي النسوي في الجزائر، ودعوة للتفكير في المستقبل الذي تسعى إليه المرأة الجزائرية[6].

كما نجد أيضا كتابات "فضيلة الفاروق" التي تسلط الضوء على مسائل المرأة والمسكوت عنه والطابوهات من خلال شخصيات نسائية قوية تسعى لتحدي الأعراف الاجتماعية والمطالبة بحقوقها، حيث جل أعمالها تعكس تطلعات الأنثى وسعيها نحو المساواة والعدالة الاجتماعية.

والكاتبة معروفة بخطاباتها الجريئة والفاضحة التي تعالج المسائل النسوية في المجتمع العربي، لا سيما في الجزائر، حيث تميزت بأسلوبها الواقعي والنقدي من خلال تسليط الضوء على الصراعات التي تواجهها النساء بين التقاليد والحداثة، وتسعى شخصياتها النسائية إلى كسر القيود المفروضة عليهن. ويظهر ذلك في:

-رواية "تاء الخجل" (2003) وهي من أشهر أعمال "فضيلة الفاروق" وأكثرها إثارة للجدل، إذ تتناول موضوع العنف ضد المرأة، خاصة قضية الاغتصاب في خضم العشرية السوداء، حيث روى النص الروائي قصة "مريم" التي تعرضت لاعتداء جنسي من طرف متطرفين، ومعاناتها نفسيا واجتماعيا بعد ذلك، مسلطة الضوء على العار والوسم الاجتماعي الذي يلحق بالضحايا بدلاً من الجناة[7].

رواية "اكتشاف الشهوة" (2005)، تناقش موضوع الجسد الأنثوي والرغبة المكبوتة في المجتمعات المحافظة، حيث تتبع القصة رحلة البطلة في البحث عن ذاتها وهويتها وسط مجتمع يفرض قيودًا صارمة على المرأة، ما يجعل الرواية صادمة لكثير من القرّاء نظرًا لطرحها قضايا جريئة ومحرمة في عرف الثقافة العربية التقليدية[8].

رواية "أجراس الخوف" هي الأخرى سلطت الضوء على معاناة النساء في ظل العنف الأسري والاجتماعي، حيث تناولت قضايا مثل: القمع، والتهميش، والبحث عن الحرية والاستقلالية.

هذا وتمثل "فضيلة الفاروق" صوتًا جريئًا في الأدب الجزائري والعربي، حيث طرحت قضايا تعتبر من التابوهات المحرمة في المجتمعات المحافظة، وتحدت أعمالها السرديات التقليدية، فاتحة نقاشات حول حقوق المرأة، مما يجعلها واحدة من أبرز الكاتبات النسويات في العالم العربي.

4. صورةالمرأة بين الحداثة والتقاليد:

يروي النص الروائي الجزائري الصراع بين قطبي الحداثة والتقاليد، حيث تسعى المرأة التوفيق بين هويتها الثقافية ومستجدات العصر، هذا الصراع يجلي التحديات التي تواجهها في مجتمع يتأرجح بين الحداثة والتقاليد، ومن أبرز الروايات التي تحاكي هذا الواقع وتجسد صورته:

-رواية **"لا مكان في بيت أبي "**لآسيا جبار: تتناول صراع المرأة بين الحداثة والتقاليد، حيث تحاول البطلة التحرر من قيود المجتمع التقليدي مع الحفاظ على هويتها الثقافية، عاكسة مختلف التحديات التي تواجهها المرأة في مجتمع يتأرجح بين الماضي والحاضر؛ حيث ناقش النص موضوعات تخص قضايا المرأة الجزائرية في علاقتها بالمجتمع والتقاليد، استعرضت الكاتبة عبر السرد الذاتي واللغة العاطفية صورة صراع المرأة بين الحداثة والتقاليد، وبين الانتماء والتمرد،

وبين السلطة الأبوية ورغبة التحرر، مستندة بشكل كبير إلى تجربة الكاتبة الذاتية الشخصية، حيث عكست جزءًا من سيرتها الذاتية، عبر الحديث عن طفولتها وشبابها في الجزائر المستعمرة، حيث وجدت نفسها بين عالمين متناقضين:

- ✓ عالم الأب الذي يمثل القيم التقليدية والانضباط والسلطة الذكورية.
- ✓ عالم الحداثة الذي انفتح أمامها من خلال التعليم باللغة الفرنسية، ما أكسبها أفقًا جديدًا مغايرا ولكنه أنتج في الوقت عينه فجوة بين هويتها الأصلية والمكتسبة.

عكست الرواية بجلاء الصراع الداخلي لذي تعيشه المرأة بين إرث المجتمع التقليدي الذي يحتم عليها الطاعة والرضوخ، وبين رغبتها في الحرية واستكشاف ذاتها، حيث تتجلى هذه الثنائية في عدة جوانب:

- ✓ التناقض بين اللغة العربية، التي تمثل الجذور والهوية، واللغة الفرنسية، التي تمثل الحداثة والانفتاح.
- ✓ الصراع بين الصورة التقليدية للمرأة التي يجب أن تظل في المنزل تحت وصاية الأب أو الزوج، وبين المرأة المثقفة التي تسعى للاستقلال الفكري والمادي.

وقد سلطت الضوء على النضال النسوي في مجتمع ذكوري، حيث تحاول البطلة كسر الضوابط المفروضة عليها، ليس من قبل الأسرة وحسب، بل من قبل المنظومة الاجتماعية ككل، حيث تساءلت "آسيا جبار" من خلال مؤلفها: هل يمكن للمرأة أن تكون حرة دون أن تدفع ثمنًا باهظًا؟ هل يمكنها تحقيق ذاتها دون أن تخسر انتماءها؟ "وبهذا تعد لا مكان في بيت أبي شهادة حية على تجربة المرأة الجزائرية في مواجهة تقاليد قيدت حريتها، لكنها في الوقت نفسه نعكس قوة الإرادة والطموح في البحث عن الذات. الرواية ليست مجرد سيرة ذاتية، بل هي عمل أدبي يعبر عن هموم جيل كامل من النساء اللاتي وجدن أنفسهن بين نارين: الانتماء والتمرد"[9].

وقامت رواية **"ذاكرة الجسد "**لأحلام مستغانمي: برسم صور نمطية لصراع المرأة ورغبتها في التحرر من قيود المجتمع التقليدي. البطلة تحاول التوفيق بين هويتها الثقافية ومتطلبات العصر الحديث، وتُعد الرواية **واحدة من أبرز الروايات العربية التي عالجت قضايا الهوية والمرأة والواقع الجزائري ما بعد** الاستقلال. وعلى الرغم من أن الرواية تُسرد من منظور ذكوري للبطل خالد بن طوبال، إلا أن شخصية البطلة حياة تجسد نموذج المرأة التي تعيش صراعًا بين التقاليد والحداثة، وبين رغبتها في التحرر من القيود الاجتماعية مع الحفاظ على هويتها الثقافية.

تجسد شخصية "حياة"، جيلًا مغايرا ومختلفا من نساء الجزائر، يعيشن تمزقًا بين عالمين:

- عالم الثورة والنضال الذي ينتمي إليه والدها، أحد أبطال الثورة الجزائرية الذي عانى من الاضطهاد بسبب انتمائه السياسي قبل وبعد الاستقلال، وهو ما يجعلها تشعر بثقل الإرث الذي تحمله.
- عالم الحداثة والانفتاح الذي تعيشه في فرنسا، حيث تتعلم وتتحول إلى كاتبة مرموقة من خلال كتابتها ذات الرؤية المفعمة بالأفكار الداعمة لتحرر المرأة.

هذا التناقض والصراع يجعلها شخصية غير ثابتة، تسعى وراء ذاتها لكنها تظل عاجزة عن اتخاذ موقف واضح، إذ إنها تتأرجح بين الرغبة في الحرية وبين الخضوع لمقتضيات المجتمع الذكوري ممثلة في سلطة زوجها "سي الشريف" فحياة تمثل نموذج المرأة العربية التي تجد نفسها بين إرث ثقافي قوي وتقاليد متجذرة، وبين متطلبات العصر الحديث التي تدفعها نحو الاستقلال الذاتي والفكري والمادي. والرواية تبرز بعمق كيف أن المرأة في المجتمع العربي قد تبدو متحررة ظاهريًا لكنها ما تزال محكومة بتقاليد تُفرض عليها بطرق مختلفة. رغم أن البطلة امرأة متعلمة وكاتبة مشهورة، إلا أنها لا تستطيع أن تتحكم في حياتها بالكامل؛ فهي مرغمة على الخضوع لضوابط العلاقات الاجتماعية والعاطفية التي تتحكم في خياراتها، وتُظهر أحداث "ذاكرة الجسد" كيف أن المرأة الجزائرية، والعربية عمومًا، ما تزال تعيش صراعًا مزدوجًا؛ صراعًا مع مجتمعها الذي يريد فرض هويته عليها، وصراعًا مع ذاتها وهي تحاول التوفيق بين الحرية والانتماء؛ فهي ليست مجرد شخصية روائية وحسب، بل هي صورة لجيل كامل من النساء اللواتي كُتب لهن أن يعشن بين ماضٍ يطاردهن ومستقبل لا يمتلكن السيطرة عليه بالكامل[10]. صورة مفعمة بالإحساس بالحزن الذي تعيشه الذات المركزية حياة عبر مختلف الفضاءات التي تنتقل إليها.

5. صورة المرأة والحفاظ الهوية الوطنية والثقافية

لعبت المرأة من خلال الأدب دورًا بالغا في الحفاظ على الانتماء والهوية الجزائرية، خاصة في ظل محاولات طمس الثقافة الوطنية خلال فترة الاستعمار. فكان الإنتاج الأدبي للنساء وسيلة للحفاظ على التراث واللغة والتقاليد، ومع طرح قضايا المرأة ومطالبها في سياق تحديث المجتمع، إذ أسهمت المرأة سواء ككاتبة أو كشخصية داخل النصوص الإبداعية في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية بعد الاستقلال، إذ لم يقتصر دورها على كونها ملهمة للأدب، بل أصبحت صانعة له، تعبّر من خلاله عن رؤاها وتجاربها ومطالبها، وقد ساعدت هذه الإسهامات في بلورة صورة أكثر واقعية وحقيقية عن المرأة الجزائرية، بعيدًا عن الصور النمطية التي كانت سائدة في الأدب ما قبل الاستقلال.

- فرواية **"نساء الجزائر "**لآسيا جبار: تصور دور المرأة في الحفاظ على الهوية الوطنية من خلال مشاركتها في الثورة وفي بناء المجتمع. المرأة في هذه الرواية ليست مجرد مشاركة في الثورة، بل هي حارسة للهوية الوطنية[11].
- وفي السياق نفسه تحدد رواية **"اللاز "**للطاهر وطار: صورة للمرأة كأيقونة للهوية الوطنية والانتماء، حيث تركز على تمثيل مختلف تفاصيل مشاركتها في الثورة، ودورها في بناء المجتمع بعد الاستقلال[12].

6. صورة المرأة كشخصية معقدة ومتعددة الأبعاد:

بدأت تظهر في الخطاب الأدبي الجزائري الحديث شخصيات نسائية معقدة ومتعددة الأبعاد، تعكس تناقضات المجتمع وتحدياته الصعبة، هذه الشخصيات تعكس تطلعات وأحلام المرأة نحو الحرية والمساواة والتفوق والتفرد، ولكنها أيضًا تواجه تحديات اجتماعية وثقافية، فالخطاب الرّوائي بشكل عام "هو بنية لغوية دالة أو تشكيل لغوي سردي دال، يصوغ عالما موحدا خاصا، تتنوّع وتتعدّد وتختلف في داخله اللغات والأساليب والأحداث والأشخاص والعلاقات والأمكنة والأزمنة دون أن يقضي هذا التنوع والتعدد والاختلاف على خصوصية هذا العالم ووحدته الدالة"[13].

- فرواية **"ذاكرة الجسد "**لأحلام مستغانمي: تقدم ما يأتي:
- شخصية نسائية معقدة ومبهمة تعرض تناقضات المجتمع وتحدياته؛ فالشخصية الرئيسة تحاول التحرر من قيود المجتمع، ولكنها تواجه تحديات اجتماعية وثقافية[14].
- أما رواية **"باب الساحة "**لرشيد بوجدرة: تقدم تصويرا ورسما دقيقا لشخصية نسائية معقدة تروي بجلاء تطلعات المرأة نحو الحرية والمساواة، ولكنها تواجه تحديات اجتماعية وثقافية[15].

خاتمة:

إن صورة تمثيلات المرأة في الرواية الجزائرية الحديثة ليست مجرد آلية لواقع اجتماعي وسياسي متحول، بل هي أيضًا أداة نقدية تكشف عن التوترات العميقة بين التقاليد والحداثة، وبين القمع والتحرر، ومن خلال تحليل هذه التمثيلات، يمكن استخلاص النتائج الأتية:

- المرأة كصورة ترمز للمقاومة: كشفت الرواية الجزائرية عن الدور الفاعل الذي لعبته المرأة في الكفاح السياسي والاجتماعي، حيث لم تقتصر تمثيلاتها على كونها داعمة للثورة، بل تجاوزت ذلك لتصبح فاعلًا مؤثرًا في سرديات التحرر والاستقلال.

- الصراع بين التحديث والتقليد؛ إذ قدمت العديد من الروايات صورة للمرأة ممزقة بين الرغبة في التحرر من القيود الاجتماعية التي تفرضها الثقافة السائدة، مما يعكس واقعًا لا يزال يشكل تحديًا كبيرًا للنساء في المجتمع الجزائري.
- صورة المرأة كضحية للمنظومة الاجتماعية والسياسية؛ تجلت في الأعمال الروائية عبر معاناة المرأة تحت وطأة القوانين والعادات والتقاليد، حيث أظهرت الروايات كيف تعاني النساء من القيود المفروضة عليهن، سواء على المستوى الأسري أو المجتمعي أو السياسي.
- صورة المرأة كفاعل في التغيير: لم تقتصر التمثيلات الروائية للمرأة على كونها ضحية، بل برزت شخصيات نسائية قادرة على كسر الحواجز الاجتماعية وإعادة صياغة أدوارهن في المجتمع، مما يشير إلى وعي متزايد بدور المرأة في التطور الاجتماعي والثقافي.

وعليه؛ ترسم هذه التمثلات والتشكيلات صورة نمطية ديناميكية ومتغايرة للمرأة الجزائرية، حيث تتداخل السياقات والظروف والأبعاد التاريخية والاجتماعية والثقافية لتشكيل هويتها داخل النصوص السردية. ورغم التطورات التي طرأت على الأدب الجزائري، لا تزال قضية تمثيل المرأة مجالًا خصبًا للنقاش، حيث تتجدد التساؤلات حول مدى نجاح هذه الخطابات الروايائية في تخطي الصور النمطية والمساهمة في إعادة تشكيل الوعي الجمعي حول المرأة ودورها في المجتمع.

المراجع:

1. أحلام، مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، (1993).
2. آسيا جبار، نساء الجزائر، دار الآداب، بيروت، (1980).
3. آسيا جبار، لا مكان في بيت أبي دار الآداب، بيروت، (1985).
4. ربيعة جلطي، عرش معشق، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2013م.
5. رشيد بوجدرة، باب الساحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (1985).
6. روجر آلان، الرواية العربية، تر: إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع، مصر، 1997م.
7. فضيلة فاروق، تاء الخجل (فضيلة فاروق)، منشورات ضفاف -الاختلاف، بيروت، لبنان، 2015م.
8. فضيلة فاروق، اكتشاف الشهوة دار الريس للنشر والتوزيع، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
9. محمود أمين العالم ونبيل سليمان ويمنى العيد. الرّواية العربية بين الواقع والإيديولوجيا. دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1.

الهوامش:

[1] - روجر آلان، الرواية العربية،.تر: إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع، مصر، 1997، ص106.

[2] - وطار، الطاهر، العشق والموت في الزمن الحراشي. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1970م.

[3] -مستغانمي، أحلام، ذاكرة الجسد. دار الآداب، بيروت، 1993م.

[4] - وطار، الطاهر، العشق والموت في الزمن الحراشي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1970م.

[5] - ربيعة جلطي. عرش معشق، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيرو، الجزائر، ط1، 2013م، ص 25.

[6] - ينظر: رشيد بوجدرة، باب الساحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

[7] - ينظر: فضيلة فاروق، تاء الخجل، منشورات ضفاف -الاختلاف، بيروت، لبنان، 2015م.

[8] - ينظر: فضيلة فاروق، اكتشاف الشهوة دار الريس للنشر والتوزيع، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2005م.

[9] - أسيا جبار، لا مكان في بيت أبي، دار الآداب، بيروت، 1985م.

[10] - أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، 1993م.

[11] - أسيا جبار، نساء الجزائر، دار الآداب، بيروت، 1980م.

[12] -رشيد بوجدة، باب الساحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

[13] - محمود أمين العالم ونبيل سليمان ويمنى العيد. الرّواية العربية بين الواقع والإيديولوجيا. دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1986، ص11.

[14] - أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد. مستغانمي.

[15] -رشيد بوجدرة، باب الساحة.